



شخصية يحيى آغا قائد الجيش الجزائري

1818 / 1828

من إعداد: الأستاذة دريدي ريمة

قسم التاريخ / جامعة الجزائر 2

مقدمة:

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية مراحل تاريخية و شخصيات بارزة كان لها دور مميز في الجانب العسكري ولعل أول شخصية أرسدت أسس الدولة البحرية القوية في حوض البحر الأبيض المتوسط هي خير الدين بربروس لتتوالى الشخصيات التي ميزت مرحلة ما بين 1518 إلى غاية الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر سنة 1830¹ منها حسن ابن خير الدين و الرايس حميدو وأخيرا قائد الجيش البري يحيى آغا فمن تكون هذه الشخصية العسكرية ؟

نشأته

تولاه هو خزندار لدى عمر آغا الذي تحصل على الباشوية في 7 أفريل 1815⁹ ليعين بعدها قايد منطقة بوفاريك ، ومع نهاية عام 1817 عينه علي باشا قايد قبائل بني جناد كمكافئة له على سيرته اللامعة في الحملات التي شارك فيها بتاريخ 29-30 نوفمبر 1817 بالعاصمة ضد التمرد الذي قاده أحد بايات الشرق الجزائري آنذاك ضد الحكم المركزي في الجزائر¹⁰.

لقد قام يحيى آغا خلال توليه منصب خزندار على عهد عمر آغا بربط علاقات قوية مع السكان ومع خوجة الخيل حسين الذي تولى فيما بعد منصب باشا في 1 مارس 1818 وكان يحظى بمكانة كبيرة لدى حاكم الجزائر الجديد الداوي حسين بحكم الصداقة التي كانت تربطهما لذلك ما أن تولى هذا الأخير حكم الجزائر حتى ولاه منصب مهما هو آغا العرب¹¹ خلفا للآغا بن عثمان¹².

مع بداية استلام مهامه اندلع تمرد في منطقة بوغني من طرف قبائل قشطولة وبني صدقة بسبب الهجوم على الحامية العثمانية هناك مدعمة بقبائل عبيد بعين الزاوية وحصارها لمدة سبعة أيام مما دفع بمرابطي زاوية سيدي عبد الرحمان بوقبرين إلى كسر وفض الحصار على الحامية العثمانية وقبائل بني عبيد المتحالفة معها وتوفير الحماية لهم ثم إخراجهم من منطقة الحصار إلى غاية بن هارون

يحيى بن مصطفى² شخصية عثمانية تعود أصولها إلى منطقة قارا دانيز بالروملي³، وقد أبحر يحيى آغا نحو الجزائر ليصلها كجندي بسيط أي اليولداش⁴ و بقي في منصبه البسيط مدة طويلة وكانت أول محطة التحق بها هي ثكنة باب عزون التي أطلق عليها ساندرو رانغ بالثكنة الخضراء لكونها كانت ثكنة مخصصة للجنود العزاب غير المتزوجين وقد كتب على مدخل إحدى قاعات هذه الثكنة عبارة « ثكنة مخصصة للجنود العزاب »

كما انتقل إلى ثكنة أخرى كانت تعرف آنذاك باسم دار ينكشيري حولت فيما بعد على عهد الاحتلال الفرنسي إلى ثكنة عرفت بثكنة لو مارسي CASERNE LEMERCIER⁵ وكان رقم أوجاقه في هذه الثكنة هو 253.⁶

كان يحيى آغا يتقاضى أجرا زهيدا آنذاك على غرار جنود الانكشارية يمنح من طرف داي الجزائر⁷ ويطلق عليه بجرابة الانكشارية ، كما كان يمارس مهنة إسكافي بالجزائر العاصمة في أوقات إعفائه من مهامه العسكرية.

برز يحيى آغا على أقرانه في المجال العسكري بسبب استقامته وهذا ما ساعده في الوصول إلى الرتب العسكرية العليا في الحكومة الجزائرية إذاك وهذا ما زاد في ثقة الداوي حسين باشا فيه، فزوجه إبنته الكبرى⁸.

مهامه العسكرية في الجزائر

كان لجنود الانكشارية أحقية الترقية وكان أول منصب

القوات على الحصون والثكنات ومراكز المراقبة¹⁶.

وفاته

بعد أن تمكن يحيى آغا من استمالة العديد من القبائل العربية خلال فترة حكم الداى حسين باشا 1818/ 1830 وبعد أن قضى في خدمة الداى قرابة اثنتا عشرة سنة أثبت خلالها كفاءته الميدانية. وقد خلقت له هذه المكانة العديد من الحساد على مستوى السلطة وعلى رأسهم الخزناجي الذي كان يعرف بوزير المالية الذي سعى لدى الداى حسين باشا من أجل تنحيته ومعاقبته خشية من أن يصبح هو الرجل الفعلي للجزائر ويتولى كرسي الحكم فيها وبالتالي فالخزناجي معرض للطرد لذلك قدم العديد من التقارير الكاذبة عن يحيى آغا للداى حسين مفادها أنه يصدد التحضير للقيام بانقلاب والاستيلاء على السلطة، وأنه وعد بعض الشخصيات المحلية بإسنادهم مناصب وزارية في حال نجاح خطته الانقلابية لذلك اغتاز الداى، فأمر بنفيه واستبدله بصهره إبراهيم آغا على رأس الجيش البري الجزائري وخوفا من اكتشاف خيوط المؤامرة وعودة الآغا يحيى إلى قيادة الجيش واستيلائه على الحكم قام المتآمرون بزعماء الخزناجي بتوجيه تهمة أخرى إلى الآغا يحيى، أخبر الخزناجي الداى حسين باشا بأن يحيى آغا على اتصال دائم برؤساء وشيوخ القبائل العربية الذين يزورنه ليلا في منفاه بالبليدة، كما أكد الخزناجي وجماعته في تقاريرهم الكاذبة والمزيفة للداى حسين وأن خطته تقتضي مهاجمة الجزائر العاصمة والاستيلاء على السلطة بالقوة وعلى هذا الأساس اقتنع الداى حسين باشا بأن قائد الجيش يحيى آغا خائن فأمر بإعدامه سنة 1828¹⁷ وابتداء من هذا التاريخ إلى غاية سقوط العاصمة الجزائر على يد الاحتلال الفرنسي بموجب المعاهدة المشؤومة المبرمة بين الداى حسين باشا والكونت دي بورمون بتاريخ 5 جويلية 1830 بقي الجيش الجزائري البري بدون قائد فعلي وحقيقي¹⁸.

حيث استقرت قبيلة عبيد بوادي قصري بمنطقة فليسة¹³.

لقد دمرت القبائل المتمردة برج بوغني عن آخره وبقي لعدة سنوات عبارة عن أطلال مما أثار حفيظة الحكم المركزي ورأى وجوب فرض الاستقرار على يد يحيى آغا الذي كان محل احترام جل القبائل العربية في الجزائر لذلك لم يسع لاستعمال القوة ضد هذه القبائل المتمردة بل اعتمد على الحوار في حل المشاكل المطروحة، وهذا ما فعله مع قبائل عمراوة وكذلك عندما أرسله الداى حسين إلى برج سيباو للنظر في المشاكل التي واجهت قائد المنطقة من طرف القبائل، وقد رافقه أحد أبناء المنطقة وهو الشاوش محمد بن كانون حيث أمره بجمع كل فرسان القبائل المتناحرة في برج سيباو خاصة فرسان يسر وعمراوة التحاتة، حيث تمكن من فك الحصار على برج سيباو بدعم من القبائل الموالية له وإخضاع منطقة تامدة وقبائلها بصورة نهائية، وهذا ما سمح لقائد منطقة سيباو فيما بعد إبراهيم بن يوب حسب الرسالة التي بعثها إلى قبائل بني صدقة يشير فيها إلى استعدادة للهجوم على محمد أوقاسي وجماعته وبني واقتون وعمراوة الفوافة¹⁴.

هاجم يحيى آغا نواحي بجاية فأغار على القبائل المتمردة على دار السلطان عام 1825 ووصل إلى منطقة وادي الساحل كما استعان برجال الدين والزوايا منها زاوية سيدي عبد الرحمن الغبريني وبني اسماعيل وزاوية علي بن الشريف بشلاطة. وقبائل أولاد مكران بمجانة وأولاد أورابح بوادي الصومام وبن زعمون بجرجرة و أمن خطوط الإمدادات وأعطى الأمان لجل القبائل. كما أنه نظم الأبراج ودعم الحامية العثمانية المتمركزة في منطقة سيدي فرج بحوالي 12 مدفعا تسهيلا للجهاد البحري الذي كان من اختصاص رياس البحر¹⁵.

خرج يحيى آغا إلى الأبراج والحصون ورتبها وذهب إلى سيدي فرج وبنى هناك حصنا من اثني عشر مدفعا وجعل العسة من العسكر الجديد في كل حصن وعين لهم مؤونة وبنى برج قنطرة الحراش 1822 / 1824 و قام لتوزيع



الهوامش:

5- joseph Nil ROBIN, op.cit .P60

6-Ibid.p60-61;voir aussi Albert DEVOULX :Tachrifat; recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger 1852, p 49

7-Laugier DETASSY: Histoire du Royaume d'Alger éditions loysel ;paris 1992, p 139, 140.

8- ROBIN, op.cit .p 60.

9- nahoum WEISSMAN :les janissaires; études de l'organisation militaire des Ottomans; éditions librairie Orient; paris 1964, p 64.

10- ROBIN, op.cit, p 61.

11- Henri DE GRAMMONT:Histoire d'Alger sous domination turque 1515 /1830; éditions Bouchene paris 2002,p.

12- ROBIN; op.cit.; p 61.

13- Ibid. p 62.

14- عاصر الحاج أحمد باي يحيى آغا واستفاد من تجاربه العسكرية من خلال الحملات التي كان يقوم بها ضد القبائل المتمردة وقد كان من المقربين إليه وهو الذي ساعده في الحصول على منصب باي على إقليم الشرق الجزائري و عاصمته قسنطينة، أنظر بالتفصيل حول الموضوع، بوضراسة بوعزة: الحاج أحمد باي رجل دولة و مقاوم، ط 2، دار الحكمة، الجزائر 2012 وانظر أيضا،

15- ROBIN ;op.cit. ; pp 63-65.

16- حول الموضوع عد إلى أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر 1168-1246 هـ/1754-1830م ط 2 تحقيق أحمد توفيق المدني، ش و ن ت، الجزائر 1980 و أيضا، وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتقديم عبد القادر زبايدية، ش و ن ت الجزائر 1980. وكذلك، voir aussi DEVOULX op.cit.20

17- ROBIN; op.cit. ; p 62-63.

18- لقد كان الدكتور سعد الله من المؤرخين الجزائريين الأوائل الذين كتبوا عن الحملة العسكرية الفرنسية وأشاروا إلى تداعياتها، أنظر في ذلك بالتفصيل، أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال - ش و ن ت، الجزائر 1982 .

1- خصص الدكتور جمال قنان حيزا معتبرا لأتماط الحكم العثماني الذي عرفته الجزائر خلال الفترة الحديثة أنظر، قنان جمال : نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، م ج ط ، الجزائر 1987 .

ونفس الموضوع أشار إليه الدكتور عمار بوحوش في كتابه: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997 .

لا شك أن الفرنسيين استفادوا كثيرا من المصادر الجزائرية التي تناولت تاريخ الجزائر في بداية الاحتلال منها بالتحديد كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة الذي قام بترجمته وتعريبه لأول مرة من محمد بن عبد الكريم أما المرة الثانية فقد قام بترجمتها وتعريبها محمد العربي الزبيري.

2- هذه السيرة الذاتية ليحيى آغا الواردة في المجلة الإفريقية تعود أساسا إلى مخطوط بالعربية عثر عليه وترجم إلى الفرنسية عام 1858 من طرف الباحث والمترجم العسكري ماير تعود ملكيته إلى الأسرة الجزائرية أولاد ابن كانون بمنطقة يسر الذين تولى العديد منهم منصب شاوش وقد تم تكملة المعلومات عن يحيى آغا بالمعلومات التي قدمتها بعض القبائل التي عاصرت مرحلة يحيى آغا خاصة بعض الرسائل التي قام بترجمتها المترجم العسكري السيد ليغاي أنظر في الموضوع :

joseph Nil ROBIN « notes sur yahia Agha » In Revue Africaine ; volume 18 ; année 1874 .P60

3- الروملي: اسم أطلقه العثمانيون على أراضيهم الواقعة في الجزء الأوروبي .

4- ورد على لسان الحاج أحمد باي في مذكراته ص 18 تعريف وجيز لطائفة اليولداش على أنها لم تكن تخضع للقانون ،والداي وحده هو الذي له الحق في محاكمتهم.

وطائفة أو فرقة اليولداش والتي عرفت كذلك بالجيش البري أسسها خير الدين باشا عندما تولى حكم الجزائر بداية من عام 1519 وهي القوة البرية عكس رياس البحر وكانت هذه الطائفة في غالبيتها تتشكل من النصارى الذين دخلوا في الإسلام ومن الامتيازات التي كانت بحوزتهم الإعفاء من الضرائب وكذلك العقوبات .واليولداش هو الجندي العادي والتسمية مشتقة من اللغة العثمانية ويعني الجزء الأول منها يول تعني رفيق أما الجزء الثاني وهو داش وتعني الطريق .حول الموضوع راجع،

Mohamed BENCHENEB: Mots Turks et Persans conservés dans le parler algérien; Jourdan imprimeur libraire éditeur ; Alger 1922, p48.49.

وأنظر أيضا، الحاج أحمد باي: مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة، تقديم وتحقيق وترجمة محمد العربي الزبيري، ش و ن ت، الجزائر 1982. ص 18 أنظر أيضا